

باب التبرير والتعليل

﴿ امالي دينية ﴾

(تابع القضاء والقدر)

م (٤٣) حقيقة المقيدة - ثبت بالبرهان ان قدرة الله تعالى متصرفه في الممكنات عن ارادة واختيار وان الارادة لا تخرج عما ينكشف بالعلم من مواقع الحكمة ووجوه النظام . وانه خالق كل شيء « واليه يرجع الامر كله » ومن الممكنات التي اقتضتها الحكمة والنظام وجود مخلوق ذي قدرة وارادة وعلم يعمل بقدرته ما تتبعث اليه ارادته بتقتضى علمه بوجوه المصلحة والمنفعة لنفسه وهو الانسان وهذا عند البعض هو معنى كونه خليفة الله في الارض يعمرها ويظهر حكمة الله وبدائع اسراره فيها ويقيم سنته الحكيمة حتى يعرف كماله بمعرفة كمال صنعه ولا يزال الانسان يظهر الآيات من هذه المكونات انا بعد ان ولا يعلم مبلغه من ذلك الا الله تعالى والمشهور ان الخلافة خاصة بافراد من الانسان وهم الانبياء عليهم السلام ولا يستلزم واحد من القولين ان الله تعالى استخلفهم لحاجة به الى ذلك حاشاه . قال اليبضاوي في بيان ان كل نبي خليفة « استخلفهم في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا حاجة به تعالى الى من ينوبه بل لتصور المستخلف عليه عن قول فيضه وتلقي امره بنير وسط ولذلك لم يستنبي مملكا كما قال « ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا » اه وكذلك اذا قلنا ان كل النوع خليفة في العوالم الارضية فلمن من كل من

القوانين ان في الانسان معنى ليس في غيره فاذا كانت خلقه الملاك لا تساعد على ارشاد الناس لانه ليس من جنسهم ولا يمكن لكل واحد التلقى منه فكذلك لا تساعد خلقته وليس من وظيفتها اظهار خواص الاجسام وقواها ووجوه الانتفاع بها .

ولو كان ايجاد مخلوق على ما ذكرنا في خلق الانسان غير ممكن لما وجد ولا ينكر كونه على ما ذكرنا الا من ينكر الحس والوجدان وهما اصل كل برهان ومثل هذا لا يخاطب ولا يطالب منه التصديق بشيء ما . اذن معنا قضيتان قطعتا الثبوت احدهما كون الانسان يعمل بقدرته و ارادة بعبثها علمه على الفعل او الترك والكف وهي بديهية . والثانية هي ان الله هو الخالق الذي يبدد ما كوت كل شيء ، وهي نظرية . ويتولد من هاتين القضيتين القطعيتين مسألتان نظريتان .

م (٤٤) الاولى ما الفرق بين علم الله تعالى و ارادته وقدرته وبين علم الانسان و ارادته وقدرته ؟ والجواب من وجوه . احدها ان صفات الله قديمة تقدمه فهي ثابتة له لذاته وصفات الانسان حادثة بحدوثه وهي موهوبة له من الله تعالى كذاته . ثانيا ان علم الله تعالى محيط بكل شيء « يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء » واما الانسان فاقوى من العلم الا قليلاً و ارادة الله تعالى لا تتغير ولا تقبل النسخ لانها عن علم تام بخلاف ارادة الانسان فانها تتردد لتردده في العلم بالشيء ونسخ لظهور الخطأ في العلم الذي بنيت عليه وتجدد لتجدد علم لم يكن له من قبل وقدرة الله تعالى متصرفه في كل ممكن فيفعل كل ما يعلم ان فيه الحكمة وقدرة الانسان لا تصرف لها ولا كسب الا في اقل القليل من الممكنات فكم

من امر يعلم ان فيه مصلحة ومنفعة له وهو لا يقدر على القيام به . نالها ان صفات الانسان عرضة للضمف والزوال وصفات الله تعالى ابدية كما انها ازلية وبالجملة ان المشاركة بين صفات الله تعالى وصفات عباده انما هي في الاسم لا في الجنس كما زعم بعضهم فبطل زعم من قال ان اثبات كون الافعال التي تصدر من الانسان هي بقدرته وارادته يقتضى ان يكون شريكاً لله تعالى « سبحان ربك رب العزة عما يصفون »

م (٤٥) المسألة الثانية - وهي عضلة المقدم . ومحك المتقدم . ان القضاء عبارة عن تعلق علم الله تعالى او ارادته (قولان) في الازل بان الشيء يكون على الوجه المخصوص من الوجوه الممكنة والقدر وقوع الاشياء فيما لا يزال على وفق ما سبق في الازل ومن الاشياء التي يتعلق بها القضاء والقدر افعال العباد الاختيارية فاذا كان قد سبق القضاء المبرم بأن زيداً يعيش كافراً ويموت كافراً فما معنى مطالبته بالايمان وهو ليس في طاقته ولا يمكن في الواقع ونفس الأمر ان يصدر منه لانه في الحقيقة مجبور عليه في صورة مختار له كما قال بعضهم؟ وقد نظم هذا السؤال يهودي فقال :

أبا علماء الدين ذمي دينكم تحير دلوه باوضح حجة
اذا ما قضى ربي بكفرى بزعمكم ولم يرضه منى فما وجه حيلتي
قضاني يهوديا وقال ارض بالقضا فما أنا راض بالذى فيه شقوتي

والجواب عن هذا ان تعلق العلم او الارادة بان فلاناً يفعل كذا لا ينافى انه يفعله باختيار الا اذا تعلق العلم بانه يفعله مضطراً كحركة المرتعش مثلاً ولكن افعال العباد الاختيارية قد سبق في القضاء بانها تقع اختيارية اي بإرادة فاعليها لا رغماً عنهم وبهذا صح التكليف ولم يكن التشريع عبثاً

ولا لغواً . وثم وجه آخر فى الجواب وهو : لو كان سبق العلم او الارادة بأن فاعلاً يفعل كذا يستلزم ان يكون ذلك الفاعل مجبوراً على فعله لكان الواجب تعالى وتقدس مجبوراً على افعاله كلها لان العلم الازلى قد تعلق بذلك وكل ما تعلق به العلم الصحيح لا بد من وقوعه . فتبين بهذا ان الجبرية ومن تلا تلومهم ولم يُسمَّ باسمهم قد عقلوا عن معنى الاختيار . واشتمت عليهم الانظار . فكابروا الحس والوجدان . ودابروا الدليل والبرهان . وعطلوا الشرائع والاديان . وتوهّموا انهم يعظمون الله ولكنهم ما قدروه حق قدره . ولا فقهوا سر نهييه وامره . حيث جرأوا الجهلاء على التنتصل من تبة الذنوب والاوزار . وادعآء البرآة لانفسهم والانحاء باللوم على القضاء والمقدار . وذلك تنزيه لانفسهم من دون الله . ولا حول ولا قوة الا بالله . بل ذلك اغراء للانسان . بالانغماس فى التسوق والعصيان . فياعجباً لهم كيف جملوا اعظم الزواجر من الاغراء . وهو الاعتقاد باحاطة علم الله بالاشياء . اليس من شأن من لم يفسد الجبر فطرته . ويظلم الجهل بصيرته . ان يكون اعظم مهذب لنفسه . وهؤوب لعقله وحسه . اعتقاده بان الله عليم بما يسر ويعلمن . ويظهر ويبطن . وانه ناظر اليه . وه مطلع عليه ؛ بلى ان الاحسان هو ان تسب الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . واما الذين ضلوا السبيل . واتبعوا فاسد التأويل . فيقولون كما قال من قبلهم وقص الله علينا ذلك بقوله عز وجل « سيقول الذين اشركو الو شاء الله ما اشر كنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تبهون الا الظن وان انتم الا تخرسون » فانظر كيف رماهم العليم الحكيم بالجهل

وجعل احتجاجهم بالتدبر من اسباب وقوع البأس والبلاء بهم . وقوله عن
من قائل « واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين
آمنوا انظّم من لو يشاء الله اطعمه ان اثم الا في ضلال مبين » وفي هذا
التدبر كفاية لمن لم ينطمس نور الفطرة من قلبه والله عليم حكيم

الاحتجاج والتضام

﴿ همة الرجال تهد الجبال ﴾

وردت لنا هذه الرسالة بهذا العنوان من سنغافور فنشرناها مفتخرين بتعاقب
قلوب المسلمين مولانا امير المؤمنين ايدد الله تعالى
ما سمعنا في ماضينا يمثل ما رأينا من الاتحاد والاتفاق والتعاون على
البر والتقوى في الاحتفالات التي اقامها اهالي مدينة سنغافوره تذكراً
للجلوس الحميدي السلطاني في العيد الفضي اى مضي ٢٥ سنة لمولانا امير
المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين وحامي حجي الدين خادم الحرمين
الشريفين النازي مولانا السلطان عبدالحميد خان الثاني ابن المرحوم الغازي
السلطان عبد الحميد خان منذ تولى عرش الخلافة العثمانية ادام الله دولته
واعلى كلمته واطال في عمره سنين عديده واعواماً مديده آمين ففي نهار ١٢
ربيع ثاني عام ١٣١٨ الموافق ١٠ افرس ١٩٠٠ انعقدت جلسة في الجمعية
الاسلامية تحت رئاسة رئيسها السيد عبد الرحمن السقاف ومنشى محمد
صديق والامام محمد يوسف واعضاءها السيد محمود والشيخ علي بن حيدر
واحمد بن محمد صالح انقليا وسعيد بن ابي بكر والحاج هارون والشيخ